



بُعْدَ الْحَجِّ ..

للأستاذة أناهد السميري حفظها الله

ألقى يوم الخميس ١٦ / ١٢ / ١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com](http://tafaregdroos.blogspot.com/)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي تفضل بفضله على خلقه فجعل لعباده موعدًا يلقونه فيه، ورحلَةً يرحلونَهَا إليه.

هذا الحج العظيم نعمة الله التي امتنَّ بها على الخلق، ولولا أنَّ الله عز وجل جعله مرَّةً في العام، وعلى الخلق مرَّةً في العمر لما سكَّنت قلوب الصالحين المشتاقين إلا وهي راحلة إلى منى، وإلى عرفات، مزدلفةً إليه في مزدلفة، لكنَّه بحكمته ورحمته جعل هذا الاجتماع مرَّةً في العام وعلى الخلق مرَّةً في العمر.

فما حقيقة الحجِّ؟ وما مقاصده؟

هذه وقفات .. ربما لا تكون منتظمة في سلك واحد، لكن خُذها من ذاق الحج وشعر بالشوق وبذل جهده أن يتعرَّف إلى ربه في تلك المواقف العظيمة في ذاك اليوم الذي يشبهه يوم الحشر من اجتماع الخلق ومن انقيادهم إلى ربهم متجهين إليه كما يحب هو ويرضى.

فأول الوقفات: أن هذا الحج رحلة بالأقدام، بالبدن فيما يظهر، و**حقيقته**: رحلة القلب إلى الملك العلام العليم بأحوال خلقه، الرقيب عليهم.

فإنَّ من حجَّ بقلبه قاصدًا رضى العظيم ووطأت قدماه منيَّ معظَّمًا لذلك المكان العظيم عند الله، وعاش هذه الأيام العظيمة التي زمانها عظيم عند الله - من المؤكد أنه سيرى اختبارات الله لهذه النفس المعظَّمة، لو كنت معظَّمًا لله ستبصر عينك اختبار الله لك وكيف تُبتلى فتتقي، وكيف تُختبر فيبصرك ماذا تفعل في اختبارك؟

إن أعظم اختبارات الحج هو الإخلاص.

✦ فكيف ستعبد الله لا تطلب رضاه وسط هذا الزحام الشديد؟!؟

✦ كيف ستطيل في دعائك ورحائك وندائك وسط هذه العيون التي تلاحظك وأنت لا تلاحظ إلا

الله؟! كيف تُحسن في صلاتك وتُطيل في سجودك والكُلُّ يراقبك وأنت لا تراقب إلا الله؟!؟

✦ كيف ستطيب كلامك والناس يعجبهم من طاب كلامه ويشنون عليه وأنت لا تريد إلا ثناء الله؟!!

ولكي تعلم أن الإخلاص أصعب الأعمال في الحج، انظر كيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم في تليته للحج ((اللَّهُمَّ حَجَّةً لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةً))^١ دليل على أن أعظم اختبارات تعظيم الله في هذا الحج هو كيف تتقي عيون الناس ونظرهم؟ كيف يتقي قلبك ملاحظتهم؟ كيف تسمع صوهم فتصم أذنك عنه؟ وترى عينك عيوهم فتغمضها عنهم؟

إنّ هذا الإخلاص هو العزيز، وهو الذي ينفع صاحبه إذا لقي الله.

إنّك تجد نفسك التي بين جنبيك تدعي دعاوى، فإذا بلغت الاختبار ظهر الصدق من الكذب، وظهر الإخلاص من الرياء.

فإذا فهمت هذا وفهمت أن اختبارك هو الإخلاص وعلمت أن قلبك سريع التقلب شديد الانفلات؛ فاعلم أنك لست بشيء إلا بعونه، ولن تستطيع شيئاً إلا بأمره، ولن تفلح إلا إذا قبلك، ولن تنجح إلا إذا أخذ بيدك، فليس لنا إلا أن يأخذ بيدنا الملك العظيم، فتحجّ قلوبنا قبل أن تحجّ أبداننا، وتقصد ولا تقصد أحداً غيره .

إنّ الاستعداد لهذا الاختبار يحتاج الشيء الكثير من معرفته سبحانه وتعالى، معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أعمال أوليائه..

✦ ماذا يصنع أولياؤه؟

✦ ماذا يقولون كي يهتدوا السبيل؟

✦ ماذا يشعرون إذا ضاقت عليهم الدنيا؟

✦ بمن يستنجدون؟

✦ كيف يتوسلون؟

✦ ماذا يقولون؟ من أجل أن نقول مثلهم.

^١ سنن ابن ماجه (كتاب المناسك/ باب الحج على الرّجل/ ٢٨٩٠) وصححه الألباني.

✦ كيف يُظهرون فقرهم وضعفهم؟

✦ ما هي أمانيتهم؟

✦ كيف يستعدّون ليوم الدّين؟

كل هذا زادك -أيّها الحاجّ- إلى هذا الحجّ العظيم.

تعرّف على الله في رخائك قبل أن يسارع بك بدنك إلى عرفة، علّك تجد في عرفة ما عرفته عن الله.

قرب خُطاك على طريق الصالحين، انظر ماذا فعلوا لتفعل مثلهم، فهذا الذي يقربك ويجعلك تزدلفُ إليه، فتنام في مُزدلفة التي قرّبتك إلى أرض الله التي يحبّها، فتنام فيها قرير العين قد اقتربت مما يحبّ الله.

إنّ رائحة هذه الأرض، إنّ صورتها بجبالها وحجارتها وتعرجاتها وكل ما تطأ قدمك عليه، إنّ صورتها في قلبك -أيّها الحاجّ- لا بد أن تكون صورة المكان العظيم الذي يحبّه الله.

جرّده من الدنيا ومن رغائبك، جرّد الله هذه الدنيا منك ومن رغائبك، جرّدها من الخُضرة ومن الماء الذي يجري، بل هي جبال شاهقة ووادي ملأته الأحجار، لم تتزيّن هذه الأرض بزينة الدنيا، لكنّ الله جعل لها في قلب المتّقين المحبّين مكاناً عظيماً، فمن تزوّد بمعرفة الله وحبه وتعظيمه، أتى إلى هذه الأرض مُحبّاً معظماً.

وانظر كيف تكون عين المحبّ لمحبوبه، ماذا ترى منه؟ ما ترى منه إلا خيراً، وهو يختبر هل أنت حقّاً صادق في أنك لا ترى إلا خيراً؟!

وقد مرّت أحداثٌ على الحاجّ -وأنا منهم- مرّت أحداثٌ اختباراتٍ عليك وعلى غيرك ترى فيها المدّعي من الصادق، فرما تبدأ الرحلة تقول، في أول الرحلة يضيق بك الأمر تضيق مثلاً، فتقول لا مشكلة نصل إن شاء الله.. ونحن متأكدون أن ربنا سيوصلنا، فيزيد عليك الأمر اختباراً، ويتكرر عليك لإظهار ما في فؤادك من صدق، فلا تظن أن دعاوى الإيمان لا تُختبر، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

لِلتَّقْوَى^٢ ألم يمتحن الله الصحابة بأن جعل أيديهم وهم مُحْرَمُونَ تنال الصيد؟! صيدٌ حُرِّمَ عليهم تناله أيديهم ورماحهم ليختبر هذا الحاج في صدق امتثاله لله وحبّه وإرادة قُربه.

فإذا فهم الحاجُّ هذا الأمر استعدَّ للاختبارات، استعدَّ أن يُخْرِجَ اللهُ ما في قلبه من ضغائنٍ وأحوال، واستعدَّ العبدُ المؤمنُ لمعالجة قلبه وتطبيبه، فأنت في مثلِ هذه المواقفِ تعرفُ حقيقةَ نفسك وحقيقةَ ما يجب أن تتزوَّدَ به من أجل أن تعالج:

كم نحن في الرخاء نظنُّ أنفسنا أتقياء؟

كم في الرخاء نظنُّ أنفسنا مخلصين؟

كم في الرخاء نظنُّ أنفسنا صبورين؟

كم في الرخاء نظنُّ بأنفسنا ظنَّ الخير؟!

ونظنُّ أننا محسنون الظن في الله! فإذا أتت الشدةُ وأتت هذه المعركةُ الصغيرةُ (الجهادُ الأصغرُ) الحجُّ، ورأيت الناسَ يقصرون في حقِّ الله، ويقصرون في حقِّ الخلقِ، ستعرفُ من الله في قلبك !!

لو اخترت نفسك: ما الذي يؤذيك الآن؟ هل يؤذيك مثلاً وأنت أمامَ القطارِ الذي ينقلُك من مكانٍ لمكان، هل يؤذيك تدافعُ الناسَ ودفْعُهُم لكَ أكثر، أم يؤذيك أنَّهم لا يذكرون الله ولا يلبّون، بل تجدهم يتسخطون على رِحمٍ وعلى أقداره؟ هل يعصرُ قلبك الآلامُ لما تشعرُ أنهم لا يعظّمون ربَّك الذي قصده؟ أم أن نفسك لا تفكّرُ إلا في حظّها؟!

والله ما وجدنا من يتلاوم على ترك التكبير والتلبية قدر ما وجدنا من يتلاوم على وسخ الأرض والمخلفات التي نتركها نحن مثل ما يتركها الحجاج!!

نعم لا ننكر أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، لكن انظر إلى هذه في شُعبِ الإيمان، انظر كيف أن حقَّ الله رأسُ شُعبِ الإيمان، فأين أنت أيها التقِيُّ النقيُّ؟ أين أنت عن حقِّ الله؟ أين أنت عن تعظيمه؟ أين أنت عن قبولك لقضائه وقدره؟ أين أنت عن أن تشعر بنسماتِ رحمته التي تمبُّ على الحجاج!!

^٢ الحجرات: ٣٠

إِنَّ مَنْ شَهِدَ هَذَا الْعَامَ عَرَفَةَ - وشهدناه الحقيقة في كل عام لكن نقول عن هذا العام - وخرج من المخيم في وقت الغروب، والله يشعر في بدنه بتلك النسمة الخفيفة التي جرت على أرض عرفة! نسأل الله أن تكون نسمة رضاه على من وقف في ذلك المكان وعلى المسلمين.

رأينا آثار رحمته في كل شيء، ألا يزعجك لما تعرف ربك الكريم وتشهد على كرمه فيحيط بك من يتسخط عليه ويتسخط على أقداره!!!

إِنَّ الْمُعْظَمَ لِرَبِّهِ يَقْصِدُ هَذَا الْمَكَانَ رَاضِيًا بِاللَّهِ، هَادِنًا يَنْتَظِرُ عَطَاءَ اللَّهِ، لَا يَزْعِجُهُ مَا يَقْلِبُهُ فِيهِ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ، وَإِذَا كَانَ وَقَعَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ التَّلَفِ وَلَوْ بِمَقْدَارِ أُمَّلَةٍ، كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفٌ، "من كان في الله تَلَفُهُ كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفُهُ"^٣.

كيف لا وهو مالك الملك ربُّ كلِّ شيء ومليكه؟!

كيف لا وهو ينظر إلى قلوب عباده يرضون عنه أم لا يرضون؟ يقبلون أم يسخطون؟ يُقبلون بقلوبهم أم يدبرون؟!

فنسأله تعالى وهو وليُّ هذا السؤال والقادر على كل شيء، يا ولينا! ارزقنا إيمانًا، اجعلنا على يقين أنه لا تُصَرَّفُ الْأُمُورُ إِلَّا بِأَمْرِكَ، وَأَنَّ أَحْوَالَ الْخَلْقِ وَتَقْلِيْبِهِ بِشَأْنِكَ، أَنَا عَمِيدٌ نَسِيرٌ كَمَا تَأْمُرُنَا رَاضِينَ عَنِ رَبِّنَا غَيْرِ سَاخِطِينَ.

مَنْ دَخَلَ الْإِحْتِبَارَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي كُلَّ مَخْلُوقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَقَفُوا فِي عَرَفَةَ أَوْ مِنَ الْخَلْقِ عَمُومًا يَبْتَلِيهِمْ بِمَا يُخْرِجُ أَمْرَاضَ قُلُوبِهِمْ فَيَعَالِجُونَهَا، أَوْ يَخْرِجُونَهَا فَتَفْضُحُهُمْ وَلَا يَجَاهِدُونَهَا وَلَا يَلْبَسُونَهَا لِبَاسِ التَّقْوَى.

إِنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ اسْتِرَاحَ، يَجِدُ أَنَّهُ غَايَتُهُ وَمُنَاهُ، يَلُومُونَهُ الْخَلْقُ عَلَى مَا فَعَلَ أَيًّا كَانَ فَعَلَهُ! وَهُوَ يَقُولُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَرَانِي وَيَعْلَمُ مَقْصِدِي، مَطَّلَعٌ عَلَى خَبَايَايَ، لَا يَخْذُلْنِي!

فكان هذا العبد عبدًا واحدًا في الأرض لواحد في السماء!

^٣ ابن تيمية، كتاب "قاعدة في الصبر"، ص ٤٨.

فيا ربنا يا من ابتليت الخلق بالتوحيد اخترتهم فيه ونوعت وصرفت الأقدار على هذا الاختبار، اجعلنا من الموقنين لأن لا نرغب إلا إليك ولا نسأل إلا إياك ولا نجتمع إلا حباً في تعظيمك وذكر نعمائك علينا، نُشهِدُكَ ونُشهِدُ أَهْلَ الأَرْضِ والسَّمَاءِ أَنَّكَ الكَرِيمُ الرَّحِيمُ القَرِيبُ المَجِيبُ ...

رأينا من آثارِ كمالِ صفاتِكَ ، ورأينا من آثارِ جميلِ إنعامِكَ ما يجعلنا عاجزين ، لكنَّ الخلقَ أعمى وبصير! بصّرنا وبصّر المؤمنين بما لك من كمالِ الصفات، علّمنا ما يزيدنا يقينا، قرّنا من طريقك يا رحمن يا رحيم، واصرف عنا شرور أنفسنا التي تصوّر لنا الأحداثَ على هوانا، اصرف عنا سيئات أعمالنا التي هي سبب لعمانا.

وأنت يا ربنا الرحيمُ الودود، قد رأينا آثار ودِّك وقدرتك في اجتماع هذا الخلق العظيم، لا يريدون إلا رضاك، كيف جُمِعوا فلا ترى إلا الموت! ثم تصرّفهم يسرون فيذهب كل إلى طريقه! سبحانك وبحمدك، لو اجتمع أهلُ الأرضِ لإنقاذِ نفسٍ من بين هؤلاء ما استطاعوا، ولو اجتمعوا على القضاء عليها ما استطاعوا !!

رأينا آثارَ كمالِ تدبيرِكَ، يجتمعون ليرموا في عدد هائل لا يعدّ فتنجيهم! فسبحان من دبّر الخلقَ ورزقهم وحفظهم، نسألك يا ربنا كما امتننت علينا بإتمام هذا الحج ورددت شرَّ أهل الشر وخرج الخلق - الحمد لله بفضلك ومنتك - ناجيةً أبدأهم نسألك أن تنجي قلوبنا وقلوب المسلمين من السخطِ عليك وأنت الرحمن الرحيمُ، ومن سوء الظن فيك وأنت العليمُ الحكيمُ.

تفضّل علينا يا ربنا واجعلنا من أهل التوحيد، علّمنا الحقَّ وأطلق ألسنتنا به، وثبت قلوبنا عليه، وزدنا إلى أن نلتاق وأنت راضٍ عنا في أرضٍ غير الأرض، وفي حالٍ غير الحال، هناك الوزن الحق! يوزن الخلق، بما معهم من حسنات، كثر حسناتنا واصرف عنا السيئات.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

